الوراثة الطبيعية

هي من سُنَن الطبيعة في الأحياء تنتقل بها الخصائص الفطرية من السلَف الى الخلَف . وهذه الخصائص اما ان تكون من مقوّمات النوع ككون الانسان منتصب القامة ذا يدين ورجلين ناطقاً ضاحكاً بالطبع الى غير ذلك من الفصول والخواصّ التي تميزهُ من سائر انواع الحيوان وتسمَّى بالنوعية . واما ان تكون من مميزات الفرد ككون زيدٍ مثلاً طويل القامة اسمر اللون اسود الشعر كبير العينين الى سائر ما هنالك من الحلى التي يتميز بمجموعها عن غيرهِ من الافراد وتسمى بالشخصية

والوراثة النوعية تعمّ جميع افراد النوع لان الخلَف يتناول من السلَف جميع المميزات التي تُلحِقهُ بنوعهِ واذا اتفق ان يكون في بعض الافراد ما ليس من خصائص النوع فلا بد ان يكون ذلك ناشئاً عن عاهةٍ مرضية طرأت على الشخص نفسهِ او عن وراثةٍ عن احد السلف على ما سيجيء الكلام فيهِ . واذا كان الخلَف مركباً من نوعين كالبغل المتولد بين الحمار والفرس فانهُ يجمع كل الخصائص المشتركة بين النوعين ككونهِ من ذوات الثُدي وانهُ يمشي على اربع ويا كل النبات ولا يجترّ وتنفرد فيهِ بعض المميزات الخاصة بكلٍّ منهما كضخامة الجثة المستفادة من الفرس وشكل العُرف المستفاد من الحمار وربما اختلط بعض الصفات فيهِ كالشحيج المتوسط بين الصهيل والنهاق

واما الوراثة الشخصية فانها لا تميز الا في الانواع الراقية ولا تتجاوز

افراد الأُسرة الواحدة . وهي اكثر ما تكون في المميزات والخصائص الفطرية كملامح الوجه ولون البشرة والشعر ونوع المزاج وغير ذلك . ويتصل بها انتقال بعض الامراض بالارث كالصرع والزُهَري والسلّ وغيرها وقد يقتصر الارث على نقل الاستعداد لاحد الامراض بان يرث المولود حالةً من الحالات المؤهّبة لقبول المرض كضيق الصدر المهيّئ لقبول السلّ وتنبُّه العصب المهيّئ لقبول الامراض العقلية

وقد تنتقل العاهات الجسمية بالارث ولا سيما ما كان منها خلقةً في السلَف كالتحام بعض الاصابع او نقص بعضها وكالفلَح في الشفة احياناً وبروز العُصعُص وما اشبه ذلك . واما اذا كانت من العاهات والآثار الطارئة على بعض الاعضآء بسبب استعمال العضو او اهمالهِ او ما يعرض عليهِ من بتر او آفةٍ خارجية فما يصعب القطع باثباتهِ او نفيهِ والمحققون فيهِ على خلاف . فذهب فريقٌ منهم وفيهم لامَرك وداروين وهُيكل وسپنسر الى جواز انتقال هذه العوارض بالارث واستشهدوا على ذلك بروايات منها فيما ذكروا ان رجلاً كانت قد اصيبت احدى اصابعهِ بآفةٍ منعتها الحراك فجآءهُ مولودٌ كانت الاصبع نفسها منهُ معقولةً عن الحركة ومنها ان اناساً كان في مواضع من جلودهم ندوب اي آثار جراح فظهر مثل تلك الآثار في ابنآئهم قالوا ومثل هذا كثيراً ما يُرَى في البنات اذا كان في احدى اذنَي الوالدة او في كلتيهما انخرامٌ في موضع القُرط فان البنت قد تولد وفيها الانخرام المذكور وذكر غيرهم انهُ رأى بقراً قد حُطمت قرونها فجآءتها صغارٌ بغير قرون وان كلاباً قُطعت اذنابها فجآء اولادها بغير

اذناب . وذهب غير اولئك كوّيسمان ونيجلي وكُوليكر الى انكار الارث في مثل ذلك وردّوا ما وُجد منهُ الى الاتفاق قالوا ولو صح مثل هذا لازم ان يولد ابنآء اليهود مختونين وابنآء الصينيات مصغّري الاقدام لان كلا الامرين مستعملان عند الفريقين منذ قرونٍ كثيرة ولهم على ذلك ادلةٌ اخرى نضرب عن ذكرها

ثم ان الوراثة لا تقتصر على المميزات العضوية والاحوال المزاجية وما يتبعها من عوارض البنية ولكنها كثيراً ما تتناول الملكات النفسانية والقوى العقلية الا انها تنحصر منها في الخصائص الطبيعية المرتبطة بالفطرة دون الاحوال الكسبية المستفادة من المزاولات الشخصية لما أن هذه معرضةٌ للتبدُّل والانفكاك فلا تثبت في المورّث على طريق اللزوم . وعليهِ فابن القائد الكبير مثلاً وابن الرياضيّ الشهير — على اعتبار ان الشبه يكون للاب دون الامّ — لا يتعين ان يكون الاول منهما قائداً ولا الثاني رياضياً ولكن يكون الاول بحسب الفطرة مستعدًّا للامر والنهي فيمكن ان يكون مسيطراً على اصحاب عملٍ مثلاً والثاني يكون مستعدًّا للضبط والاحصآء فيمكن ان يكون متولياً لدفاتر احد التجار ولذلك لا تصلح الافعال ان تتخذ دليلاً على الارث العقلي . على انهُ كثيراً ما يُرى مشاهير الناس ابنآء قومٍ خاملين بل هو الاكثر في الواقع كما يدل عليهِ الاستقرآء بيد ان آبآءهم لا يكونون في الغالب الا اصحآء الابدان والعقول وان لم يكونوا على شيء من المزيَّة في الخارج . ومع ذلك فكثيراً ما يتحقق الارث بالافعال نفسها فانهُ يُذكَر عن أُسرة باخ الالماني انهُ خرج منها سبعة وخمسون موسيقياً وهي

معروفةٌ بهذا الفن يتناولهُ الخلف منها عن السلف منذ القرن السادس عشر . وقريبٌ من ذلك ما يُذكَر عن زُهَير بن ابي سلمى المُزَنيّ فانهُ يقال ان اباهُ ربيعة وخالهُ بشامة وابنيهِ كعباً وبُجَيراً واختيهِ سلمى والخنسآء وابن ابنهِ المضرب كانوا كلهم شعرآء

وكذلك الملكات والاهوآء كثيراً ما تنتقل بالارث ومن اغرب ما يُروَى من ذلك ما ذكرناهُ في احد اجزآء السنة الماضية من ان امرأةً كانت مدمنةً للخمر وماتت في اوائل القرن الماضي وقد أُحصي اعقابها في اواخر فكانوا ٧٠٩ انفس وُجد منهم ٧ قتَلة و ٧٦ متلبسين بجرائم اخرى و ٢٠٥ من اهل الكدية و ١٨١ من النسآء العواهر

وقد يكون الارث عن السلف البعيد وذلك بأن يوجد في الولد خصائص او ملكات لا يرى لها اثرٌ في الابوين ولكن عند الفحص يتبين انها سرت اليهِ من احد اجدادهِ ومن اظهر الامثلة في ذلك ما ذكرهُ كاترفاج من ان خِلاسيًّا (وهو الولد بين ابوين ابيض واسود) زُوّج بزنجيّة فولدت بنتاً بيضآء . وقد ثبت بالاختبار ان كثيراً من الخصائص قد يبقى كامناً في بعض افراد السلالة ثم يظهر في الذي يليهِ حتى شوهد ان العَسَر والحَوَل والحركات التشنجية وغيرها قد تتخطى من احد الافراد الى ما يليهِ بعقبٍ او عقبين وربما لم تظهر الوراثة الا بعد عدة اعقاب

على ان بعض الملكات قد تتسلسل في النوع كلهِ وتكمن ادهاراً فلا تظهر الا في احوالٍ مخصوصة اذا دفع اليها دافعٌ من الطبع ومن شواهد ذلك ما ذكرتهُ الكسموس نقلاً عن مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من

بيان العلة في كون الانسان لا يحسن السباحة الا بعد التعليم والكسب خلافاً لباقي الحيوان قالت وانما هي مسئلةٌ وراثية محضة وذلك أنّا اذا فرضنا ان جميع الحيوانات كانت في موقف خطر وطلبت التخلص منهُ فان كل واحدٍ منها يعمد الى الحركة التي اعتادها في مثل هذه الحال وحينئذٍ فجميع ذوات الأَثدي على التقريب تطلب النجاة بالعَدْو اي سرعة الحركة الى الامام للابتعاد من وجه الخطر وهذه الحركة عينها هي التي تعينها على السباحة اذا وقعت في المآء . وبخلافها الانسان فانهُ لما كان في اصلهِ من سكان الغابات كان من عادتهِ عند الفزع ان يتسلق الشجر فاذا وقع في المآء وفي تلك الحال يدركهُ من مداهمة الخوف ما يُعجلهُ عن الرأي تدفعهُ الملكة الى ان يفعل كما لوكان يحاول التسلق فيرمي بيديهِ الواحدة بعد الاخرى في الهوآء ويفرّج اصابعهُ كانهُ يطلب الاستمساك والتعلق بشيء فوق رأسهِ ويدفع ساقيهِ معاً في جهةٍ واحدة على حد ما يفعل القرد اذا تسلق شجرةً الا ان هذه الحركات كلها تفضي بهِ الى عكس ما يحاول لان كل رفعة يدٍ من شأنها ان تغرّق الرأس واذا غرق الرأس تبعهُ الجسم لامحالة

اما التعليل النظري للوراثة وبيان كيفية انتقال الخصائص من السلف الى الخلف فمن الاسرار التي لم يتوصل الانسان الى حلها وقد افترق العلمآء فيها على عدة مذاهب لم يتأتّ القطع باحدها ولذلك نضرب عن الخوض فيها تفادياً من التطويل على غير طائل